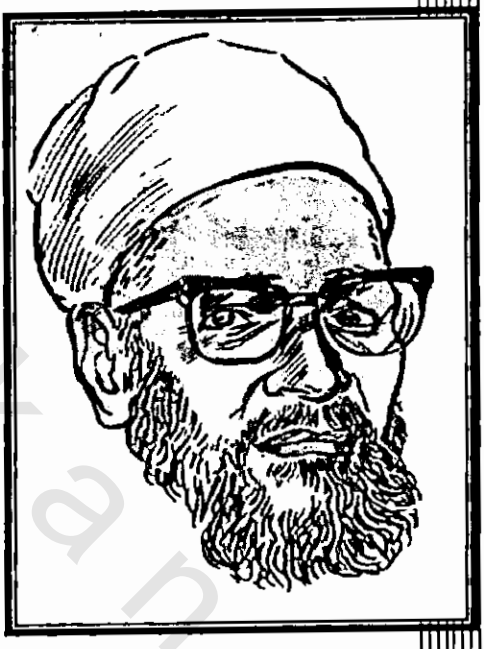

الإمام عبد الحليم محمود

(١٣٢٨-١٣٩٧هـ=١٩١٠-١٩٧٨م)

محاربة المذاهب الهدامة

obeikandl.com

«لا يفارقك- وأنت في مجلس الإمام عبد الحليم محمود- إحساسك أنك مع إنسان يعرف ربه، وأنه بهذه المعرفة الحقيقية قد ارتفع إلى مستوى وضيء، فأنت معه في مكان واحد، ولكن شعورك يدعوك إلى أن ترى أنه في السماء وأنك في الأرض، والإمام-رضي الله عنه- متواضع نبيل، لا يأتي بما يوحي بأنه من طراز نادر، ولكن هيبته تملأ مشاعرك، وتواضعه يزيده لألاء، ويزيدك إجلالا للعارفين بالله، فتحاول أن تسمع منه ليعطيك، مفضلا مأثرة السكوت الناطق أمام وجه وضيء الملامح، طاهر القسمات، تنطق أساريره المؤمنة بمعان لا تعرفها الأرض، لأن بوارقها الفاتنة تلوح في الأفق الأعلى كما تلوح أشعه الشمس، وضياء القمر».

بهذه الكلمات وصف أحد مريديه مجالس «الإمام الراحل عبدالحليم محمود» .

والده العالم الجليل الحسيب النسيب الشيخ محمود علي أحمد من نسب الحسين بن علي-رضي الله عنه- فهو من تلك العترة النقية الطاهرة له من خصائصها ما تمتاز به تلك الدوحة المصطفاه من الطهر والشرف وكمال النبل.

النجم اللامع:

لقد كان «الشيخ محمود» النجم اللامع للأسرة مشهودا له بالرأي السديد وحسن المشورة وصدق النصيحة، وكان ذا همة عالية يعطف على الفقراء والمحتاجين وله أريحية عالية، ورجولة ذات شهامة وحزم: إذا عاهد وفي وإذا قال صدق وإذا استشير أشار بخير رأي، وإذا استجير أجار بكل صدق.

فى هذه الأسرة وُلد عبد الحليم محمود فى ١٢ مايو سنة ١٩١٠م الموافق ٢ جمادي الأولى ١٣٢٨هـ. ولم يكن في الذهن من مستقبل مرموق لواحد من آل البيت الكريم الشريف إلا أن يذهب إلى الأزهر فأدخلوه كتاب القرية حتى أتم حفظ القرآن الكريم، وكان يومها يوم الفرحة العارمة والبهجة والسرور فقد ذُبحت الذبائح وأكل الشارد والوارد وأُقيمت حفلة الذكر شكرا لله تعالى.

أما الشيخ الذي تعهده بحفظ القرآن الكريم، فقد ظفر بما لم يكن في حسبانه،

وقد أتم الإمام الأكبر حفظ القرآن الكريم في سن صغيرة لم يستطع بعدها لالتحاق بالأزهر الشريف، فالتحق بالمدرسة الأولية «الإلزامي الآن» حتى ناسب سنه دخول الأزهر.

وفي عام ١٩٢٣م سافر مع والده إلى القاهرة ليدخل الأزهر، وكانت الدراسة في ذلك الحين داخل المسجد نفسه، وداوم الإمام في الأزهر يدرس زهاء عامين افتتح بعدها معهد «الزقازيق» فانتقل إليه، ليمضي سنوات الدراسة بنجاح، حتى حصل على الثانوية الأزهرية، ليلتحق بجامعة الأزهر بالقاهرة بعد ذلك ويحصل على شهادة العالمية.

السفر إلى أوروبا:

بعد أن حصل الشيخ «عبدالحليم» على شهادة العالمية، كان والده في نشوة الفرحة بنجاح ولده الأكبر، فهو أصغر الحاصلين على العالمية من الأزهر، ووسط هذه النشوة فوجئ الوالد برغبة ولده فى السفر إلى فرنسا. وعلى عادة الآباء حاول أن يقنعه بالعدول عن رأيه، ولكن التصميم قد أخذ حده، فلم يأل الوالد جهداً عن تحقيق رغبة ولده الأكبر ورافقه إلى الإسكندرية مودعاً إياه إلى فرنسا وقد خرج «الشيخ عبدالحليم» من مصر وهو محصن عفيف، عالم معتز بأزهره فاهم لكل مخططات الاستعمار، مدرك لأبعاد المعركة ضد التيار الإسلامى في مصر، مدركاً لنواحى الضعف في نفوس بعض الناس.

التحق الشيخ بجامعة «السوربون» وتعرف فيها بأساتذة الاستشراق «ماسينيون» و «موسيه» وهناك حصل على الدكتوراة في يونية ١٩٤٠م بمرتبة الشرف الأولى عن الحارث المحاسبى وبعدها عاد إلى الأزهر.

الزواج المبكر:

وقد تزوج «عبدالحليم محمود» وهو في السنة الأولى الابتدائى بالأزهر، ومع هذا فقد تخطى كثيراً من الزملاء ودخل في مسابقتين نجح في «مدرسة المعلمين» و«تجهزية دار العلوم» وحصل على العالمية دون تعثر أو صعوبة، يقول الشيخ عن

زواجه: «في منتصف العام زارنى والدى رحمه الله في المعهد المسجد ولعله جاء إلى المعهد ليقف على مدى انتظامى في الدراسة. ولعله أخذ يراقبنى عن بعد، ثم التقى بى وشرع يحدثنى عن الزواج وعرض علىّ أسماء فتيات واستطلع رأيى، وكانت سنى آنذاك ثلاث عشرة سنة، وكان رأيى الذى قلته له: «الأمر لك».

وعاد والدى إلى العزبة ومضت فترة جاءني بعدها خطاب يقول فيه ولدى: «إن الأسرة كلها في شوق إليك فاحضر لتراك وتطفئ غلة شوقها إليك».

وعدت إلى «العزبة» في مساء الأربعاء وتم عقد زواجى في يوم الخميس وعدت إلى القاهرة في يوم الجمعة.

ونجح شيخنا في الامتحان من السنة الأولى، وعاد ليقضى أجازته الصيفية، وكانت فرصة للأسرة لاتمام زواجه بالزفاف.

ثم كانت سهرة ظل طيفها مماثلا في الأذهان سنوات طويلة، فقد سهر الناس ليلتهم يذكرون الله.

اللغة والأصول:

عين الدكتور «عبد الحليم محمود» مدرساً لعلم النفس في كلية اللغة العربية أثر وصوله إلى مصر، واستمر في هذه الكلية عشرة أعوام، ثم نقل إلى كلية أصول الدين أستاذا للفلسفة وكان ذلك في عام ١٩٥١، ثم تولى بعد ذلك مشيخة الأزهر الشريف إثر عام كامل قضاه في وزارة الأوقاف من ١٩٥١ - ١٩٥٢م.

وسار الشيخ في أول مشيخته يدعو الناس إلى الاستغفار والتوبة ويذكرهم بالاستعداد لتحرير أرض الوطن، وأخذ شوطاً طويلاً في فروع القوات المسلحة يحاضر هنا وهناك باعثاً الحمية في النفوس، وراح كذلك يدعو الشعب إلى التخلص من كل ذنب والتوجه إلى الله بقلب سليم والعزم على تحرير الوطن من كل عدو وغاصب.

وفي وقاره الشامخ راح يطالب برفق المسئولين لإعادة الأزهر إلى مكانته وإعادة

مشيخة الأزهر إلى جوهرها الطبيعي.

عبد الحليم والغزالي:

اتفق عبد الحليم محمود، في طريق سلوكه مع أبي حامد الغزالي، إذا بدأ كما بدأ الأخير دارسا فاحصا، متعطشا متطلعا، ناقبا باحثًا، ثم انتهى إلى ما انتهى إليه: صوفيا ذواقا، لقلبه عين بصيره ترى ما لا يراه الناظرون، ولعل «الإمام عبد الحليم محمود» قد فطن إلى ذلك، حين أثر أن يشرح كتاب:المنقذ من الضلال للغزالي وأن يفسر اتجاهاته، وأن يقرره على طلابه، في كلية أصول الدين، حيث كان يعتقد: أن الغزالي يعبر عن نفسه وينطق عن وجدانه.

لقد كان التصوف أسلوب الإمامين معا، وهو تصوف عاقل فعال، لم يكن هروبا من الحياة، بل كان علاجا لمعضلاتها، لقد كان عبد الحليم لا يفارق الناس إلا عند نومه، ولكنه يزور ويرحل ويجتمع ويناقش، ويدفع إلى الخير، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر. والفرق بينه وبين سواه من النظريين، أنه يصدر عن يقين، وينفعل عن عقيدة، وينصح عن إدراك، وقد فهم رسالة المسلم في الحياه فهم أنه خليفة في الأرض.

ومن هنا كان التصميم التام أقوى دعائمه الإصلاحية، وكان النجاح المثمر نتيجة هذا التصميم، لأنه تصميم الموقن الجازم، تصميم المتصوف، الذي اعتقد أن عمره في هذه الحياة مرحلة محدودة، تعد ابتداء لمرحلة مقبلة غير محدودة، حين يقرأ كتابه عند ربه، فيجد سجله الواعي الدقيق، لا يغادر من كبيرة أو صغيرة إلا أحصاها! هذا الإيمان الجازم الموقن، هو مفتاح شخصية «عبد الحليم محمود» وبه حالفه التوفيق وآزره النجاح.

التسامح الديني:

لقد درس الدكتور: «عبدالحليم» مأساة التبشير ظاهره ومقنعه، ولمس جهود السابقين من شيوخ الأزهر في مجال التسامح الديني، وعرف أن الأستاذ «الإمام محمد مصطفى المراغي» حبذ فكرة مؤتمر الأديان، وأرسل كلمة صافية تدعو إلى السلام الروحي، وتمنع أن يتشاجر رجال الدين كما يتشاجر سماسرة البورصة في

سوق الربا، فكانت النتيجة أن واصل المبشرون اعتداءاتهم الصارخة على الإسلام، بمحاولة تنصير أبنائه في أفريقيا، ودس الشبهات المسمومة في تعاليمه بأيدي قساوسة المستشرقين، تحت ستار البحث العلمي النزيه!

وقد تطلع الدكتور «عبد الحليم» إلى عوامل هذه البغضاء الكامنة في أوروبا وأمريكا نحو الإسلام، فلمس أن الكنيسة تقيم جهازا دقيقا للتبشير بين المسلمين في أفريقيا وآسيا، وأنها تبني المستشفيات والمدارس لا للعلاج والثقافة بل لتشويه مكانة الإسلام، وتخالف الوقائع حين تعلن على لسان مبعوثيها أن الإسلام دين وثني! وهو دين التوحيد الخالص، والمسيحية بإزائه لا تصل إلى أصالته العريقة في التوحيد!

مخاطبة القلوب المؤمنة:

لقد كان الإمام حاسما حازما حين واجه الحقائق بلسان الصراحة، وحين رد هذه الدعوات المسمومة ردا صريحا لا تعوزه شجاعة الحق، وجهاره الإيمان، فكم أفواها تعودت القول المعسول والفعل المرذول، لقد اهتدى الإمام بعد عناء طويل في رحلته الفكرية إلى أن القلب موضوع إقناع المؤمن، فالمؤمن لا يتطلب تغلغل العقل كي يقتنع، ولكنه يلتمس ماء الهداية كي يرتوي!

المؤمن: مؤمن، قام يقينه على صخرة ثابتة لا تعصف بها الأعاصير، ولا تنال منها الزلازل، وقد آمن بكتاب ربه وسنة نبيه، وسيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وفي ذلك كله ما يقدم الغذاء الهنيء والطعام المريء.

يصعد الإمام المنبر في مناسبة عامة، فلا يجعل هذه المناسبة تأخذ عليه أقطار تفكيره، لأن المناسبات تتكرر كل عام، وقد ألم المجتمعون بما قيل في موضوعها سنة وراء سنة: فالهجرة والميلاد النبوي، والإسراء، وصوم رمضان وذكرى بدر وفتح مكة، ورحلة الحج والعمرة، مما تقام له الحفلات العامة وقد شبع المجتمعون حديثا عنها، فإذا وقف الرجل في أمثال هذه المجتمعات فإنه يمر بالمناسبة مرورا سريعا، ويختار آية من كتاب الله، أو حديثا للرسول، ليجعل منهما مجالاً للشرح والتوجيه.

فقد وقر في ذهنه أن القرآن كتاب المسلم الأول، وأن الحديث مورده الثاني، ولن يسأم مؤمن ترداد ما بهما من الكنوز، فجعل يتجه إلى الشرح الهادئ المبسط وقد يعلو المنبر مرتين في اليوم الواحد، ثم يجد المدد المتجدد المستفيض لأنه يرشف من معين الكتاب والسنة.

الاهتمام بالمعاهد الأزهرية:

* أدرك الشيخ عقبى ما ينتظر الأزهر من قضاء على صميم رسالته الدينية، فجعل يجوب القرى والمراكز والمدن ليدعُ الناس إلى التبرع الحتمي كي ينشئوا المعاهد الدينية في كل مكان. كان الرجل من قوة العزيمة ومضاء الهمة، بحيث هانت عليه أعباء الطريق من أقصى الصعيد إلى أقصى الدلتا، فلم يترك محافظة ما دون أن يتصل بذوي أمرها، ودون أن يدعو الناس إلى استماع موعظته بالمسجد الجامع ليعلن رغبته في إنشاء معهد ديني في الإقليم.

ثم امتد بنظره إلى مكاتب تحفيظ القرآن لتكون المدد الأول للمعاهد، حيث تسلح الطالب الأزهري بحفظ قدر كبير من كتاب الله، وبذل ما بذل حتى ضم أكثر هذه المكاتب إلى إدارة الأزهر.

وليت المتسرعين تركوه في جهاده الشاق، كي يجني جميع الثمار المرتجاة، ولكن فريقا يعارض لوجه المعارضة حينا، أو ينسى الهدف الأساسي من ذيوع المعاهد على هذا النطاق الشامل حيناً آخر، أو يحاول إحباط مساعي الإمام لحاجة خاصة في نفسه، هذا الفريق يدَّعي الحرص على الكيف، ويلوم من يسعى إلى انتشار المعاهد بدعوى أنها لا تجد ما تتطلب من أساتذة ومقاعد وأبنية وغذاء، حتى رجفت الراجفة في صحيفة يومية دأبت على استنكار ما يقوم به هذا المجاهد المكافح من نضال ولكن الرجل لا يسكت عن لجاج فشرع يرد، وأخذ يقنع بالحجة الداحضة، ليدمغ الشبهة الواهية.

الدعوة إلى تطبيق الشريعة:

أما المطالبة بالشريعة الإسلامية تطبيقا والتزاما، فما نعرف أن الإمام قد كل عنها

ذات يوم، فقد كتب عشرات المقالات ليُعلن أن مصر لم تعرف الأحكام المدنية إلا بعد الاحتلال الإنجليزي سنة ١٨٨٢م، وأن الشريعة بعد هذا التاريخ بقيت في مسائل الأسرة وما يُعرف بالأحوال الشخصية، كما بقيت في أكثر مواد القانون المدني، وعلينا أن نطالب بتعميمها في كل المواد، جنائية ومدنية ودستورية ودولية!

وقد سارع رحمه الله فألف لجنة علمية لصياغة قوانين الشريعة، في مواد محددة لتسهل مهمة التطبيق، وراجع ما كتب من المواد، ونشره في الصحف، ثم اتصل بأعضاء مجلس الشعب فردا وراء فرداً ليجمع تكتلاً إسلامياً ينادي بتطبيق الشريعة، وأخذ يتعجل التطبيق ملحا، ولم ييأس ذات مرة، وكان يطالع آراء المسؤولين في وجوب تطبيق الشريعة فيتساءل متعجبا: إذا كانوا صادقين في إصدار هذه الآراء، فما الذي يقعد بهم إلى الآن؟

استعادة هيبة الأزهر:

وبينما يزاول الشيخ أعباء منصبه كشيخ للأزهر وينهض بدوره على خير وجه حتى بوغت بصدور قرار جديد من رئيس الجمهورية في ١٧ جمادى الآخرة ١٣٩٤هـ= ٧ يوليو ١٩٧٤م. يكاد يجرد شيخ الأزهر مما تبقى له من اختصاصات ويمنحها لوزير الأوقاف والأزهر، وما كان من الشيخ إلا أن قدم استقالته لرئيس الجمهورية على الفور، معتبرا أن هذا القرار يغض من قدر المنصب الجليل ويعوقه عن أداء رسالته الروحية في مصر والعالم العربي والإسلامي.

روجع الإمام في أمر استقالته، وتدخل الحكماء لإثنائه عن قراره، لكن الشيخ أصر على استقالته، وامتنع عن الذهاب إلى مكتبه، ورفض تناول راتبه، وطلب تسوية معاشه، وأحدثت هذه الاستقالة دويا هائلا في مصر وسائر أنحاء العالم الإسلامي، وتقدم أحد المحامين الغيورين برفع دعوى حسبة أمام محكمة القضاء الإداري بمجلس الدولة ضد رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف، طالبا وقف تنفيذ قرار رئيس الجمهورية.

إزاء هذا الموقف الملتهب اضطر أنور السادات إلى معاودة النظر في قراره ودراسة المشكلة من جديد، وأصدر قرارا أعاد فيه الأمر إلى نصابه، جاء فيه: شيخ الأزهر هو الإمام الأكبر وصاحب الرأي في كل ما يتصل بالشئون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلاء، وله الرياسة والتوجيه في كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية والعربية في الأزهر. تضمن القرار أن يعامل شيخ الأزهر معاملة الوزير من حيث المرتب والمعاش، ويكون ترتيبه في الأسبقية قبل الوزراء مباشرة، وانتهت الأزمة وعاد الشيخ إلى منصبه ليواصل جهاده. وجدير بالذكر أن قرارا جمهوريا صدر بعد وفاة الشيخ بمساواة منصب شيخ الأزهر بمنصب رئيس الوزراء.

مسئولية شيخ الأزهر :

كان الشيخ عبد الحليم يدرك خطورة منصبه، وأنه مسئول عن القضايا التي تتعلق بالمسلمين، وأنه لا ينتظر من أحد توجيها إلى النظر في بعض القضايا وغض النظر عن بعضها، فكان للأزهر في عهده رأي ومقال في كل قضية وموضوع يتعلق بأمر المسلمين، فتصدى لقانون الأحوال الشخصية الذي حاولت الدكتورة عائشة راتب إصداره دون الرجوع إلى الأزهر، وحرصت على إقراره من مجلس الشعب على وجه السرعة، وكان هذا القانون قد تضمن قيودا على حقوق الزوج على خلاف ما قررته الشريعة الإسلامية.

ولما علم الإمام الأكبر بهذا القانون أصدر بيانا قويا حذر فيه من الخروج على تعاليم الإسلام، وأرسله إلى جميع المسئولين وأعضاء مجلس الشعب وإلى الصحف، ولم ينتظر صدور القانون بل وقف في وجهه قبل أن يرى النور، لكن بيان الشيخ تآمرت عليه قوى الظلام فصدرت التعليمات إلى الصحف بالامتناع عن نشره، واجتمعت الحكومة للنظر في بيان الشيخ عبد الحليم محمود، ولم تجد مفرا من الإعلان عن أنه ليس هناك تفكير على الإطلاق في تعديل قانون الأحوال الشخصية، وبذلك نجح الإمام في قتل القانون في مهده.

الكتب الدينية المشتركة :

اقترح البابا شنودة بطريرك الأقباط في مصر تأليف كتب دينية مشتركة ليدرسها الطلبة المسلمون والمسيحيون جميعا في المدارس، مبررا ذلك بتعميق الوحدة الوطنية بين عنصري الأمة، وتقوية الروابط بينهما. لقي هذا الاقتراح قبولا بين كبار المسئولين، وزار الدكتور مصطفى حلمي وزير التربية والتعليم آنذاك الإمام الأكبر ليستطلع رأيه في هذا الاقتراح، لكن الشيخ الغيور واجه الوزير بغضبة شديدة قائلا له: من آذنك بهذا، ومن الذي طلبه منك، إن مثل هذه الفكرة إذا طلبت فإنما توجه إلينا من كبار المسئولين مباشرة، ويوم يطلب منا مثل هذه الكتب فلن يكون ردي عليها سوى الاستقالة.

ما كان من الوزير إلا أن استرضى الشيخ الغضب وقدم اعتذارا له قائلا له: إنني ما جئت إلا لأستطلع رأي فضيلتكم وأعرف حكم الدين، ويوم أن تقدم استقالتك لهذا السبب فسأقدم استقالتي بعدك مباشرة.

المحاكم العسكرية غير مؤهلة :

من مواقف الشيخ الشجاعة ما أبداه تجاه المحكمة العسكرية التي تصدت للحكم في قضية جماعة التكفير والهجرة المصرية، وكانت المحكمة قد استعانت بعدد من علماء الأزهر لإبداء الرأي في فكر هذه الجماعة، غير أن المحكمة لم تسترح لرأيهم، وكررت ذلك أكثر من مرة، وكانت في عجلة من أمرها؛ الأمر الذي جعلها تصدر أحكاما دون استئناس برأي الأزهر.

لم تكتف هذه المحكمة بذلك بل تضمن حكمها هجوما على الأزهر وعلمائه، وقالت: إنه كان على المسئولين عن الدعوة الدينية أن يتعهدوا الأفكار بالبحث والتدبر بدلا من إهمالها وعدم الاعتناء بمجرد بحثها. ولمزت المحكمة علماء الأزهر بقولها: «ووا أسفا على إسلام ينزوي فيه رجال الدين في كل ركن هاربين متهربين من أداء رسالتهم أو الإفصاح عن رأيهم أو إبداء حكم الدين فيما يعرض عليهم من

أمور، فلا هم أدوا رسالتهم وأعلنوا كلمة الحق، ولا هم تركوا أماكنهم لمن يقدر على أداء الرسالة».

كانت كلمات المحكمة قاسية وغير مسئولة وتفتقد إلى الموضوعية والأمانة، وهو ما أغضب الإمام الأكبر هذا الهجوم العنيف، فأصدر بيانا امتنعت معظم الصحف اليومية عن نشره، ولم تنشره سوى صحيفة الأحرار.

في هذا البيان اتهم عبد الحليم محمود المحكمة بالتعجل وعدم التثبت، وأنها لم تكن مؤهلة للحكم على هذا الفكر، وأنها تجهل الموضوع الذي تصدرت لمعالجته، وكان يجب عليها أن تضم قضاة شرعيين يقفون موقفها ويشاركونها المسئولية ويتمكنون من الاطلاع على جميع ظروف القضية ونواحيها فيتمكنون من إصدار الحكم الصحيح.

اتهم الإمام المحكمة بأنها لم تمكن علماء الأزهر من الاطلاع على آراء هذا التنظيم أو الاستماع إلى شرح من أصحابه، والاطلاع على كافة الظروف التي أدت بهم إلى هذا الفكر، واكتفت بأن عرضت عليهم المحضر الذي سجلته النيابة من أقوال ومناقشات، وهذا لا يرقى أن يكون مصدرا كافيا يقوم عليه بحث العلماء، أو أساسا متكاملا تصدر عليه أحكام.

الاهتمام بأمور المسلمين:

كان الشيخ عبد الحليم محمود يستشعر أنه إمام المسلمين في كل أنحاء العالم، وأنه مسئول عن قضاياهم، وكان هؤلاء ينظرون إليه نظرة تقدير وإعجاب، فهم يعتبرونه رمز الإسلام وزعيم المسلمين الروحي، ولهذا كان يخفق قلب الإمام لكل مشكلة تحدث في العالم الإسلامي، ويتجاوب مع كل أزمة تلمّ ببلد إسلامي.

فقد أصدر بيانا بشأن الأحداث الدامية والحرب الأهلية في لبنان، دعا الأطراف المتنازعة من المسلمين والمسيحيين إلى التوقف عن إراقة الدماء وتخريب معالم الحياة، وأهاب بزعماء العرب والمسلمين إلى المسارعة في معاونة لبنان على الخروج من أزمته، وفاء بحق الإسلام وحق الأخوة الوطنية والإنسانية، وقياما ببعض تبعات

الزعامة والقيادة التي هي أمانة الله في أعناقهم.

لم يكتف الشيخ بذلك بل أرسل برقية إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية يناشده العمل بحسم وعزم على وقف النزيف الدموي الذي أسالته المؤامرات المعادية على أرض لبنان.

الأزمة المغربية الجزائرية :

قامت أزمة عنيفة بين المغرب والجزائر بشأن مشكلة الصحراء الغربية التي كانت أسبانيا تحتلها، وأدى الخلاف بينهما إلى مناوشات حربية كادت تتحول إلى حرب عنيفة. لما علم الإمام بأخبار هذه التحركات سارع إلى إرسال برقية إلى كل من ملك المغرب ورئيس الجزائر، دعاهما إلى التغلب على نوازع الخلاف وعوامل الشقاق والفرقة، وأن يبادرا بتسوية مشكلاتهما وموضوعات الخلاف بينهما بالتفاهم الأخوي والأسلوب الحكيم، وناشدهما باسم الإسلام أن يلقيا السلاح وأن يحتكما إلى كتاب الله.

أرسل في الوقت نفسه برقية إلى الرئيس السادات يرجوه التدخل للصلح بين القطرين الشقيقين، جاء فيها: «تتعلق بزعامتكم قلوب المسلمين من العرب والمسلمين الذين ينتظرون مساعيكم الحميدة في إصلاح ذات البين بمناسبة الصدام المسلح المؤسف بين البلدين الشقيقين الجزائر والمغرب».

رد السادات على برقية شيخ الأزهر ببرقية يخبره فيه بمساعيه للصلح بين الطرفين جاء فيها: «تلقيت بالتقدير برقيتكم بشأن المساعي لحل الأزمة بين الجزائر والمغرب، وأود أن أؤكد لكم أن مصر تقوم بواجبها القومي من أجل مصالح العرب والمسلمين، وما زال السيد محمد حسني مبارك نائب الرئيس يقوم بمهمته المكلف بها، أرجو الله عز وجل أن يكلل جهوده بالنجاح والتوفيق» .

في الوقت نفسه أرسل برقية إلى خالد بن عبد العزيز عاهل المملكة السعودية آنذاك يدعوه للتدخل إلى حقن الماء بين الشقيقين وفض النزاع بينهما، وقد أحدثت هذه البرقيات أصداء قوية، وكانت عاملا في هدوء الحالة بين الدولتين الشقيقتين.

وفاة الشيخ :

كانت حياة الشيخ عبد الحليم محمود جهادا متصلا وإحساسا بالمسئولية التي يحملها على عاتقه، فلم يركن إلى اللقب الكبير الذي يحمله، أو إلى جلال المنصب الذي يتقلده، فتحرك في كل مكان يرجو فيه خدمة الإسلام والمسلمين، وأحس الناس فيه بقوة الإيمان وصدق النفس، فكان يقابل مقابلة الملوك والرؤساء، بل أكثر من ذلك؛ حيث كانت الجموع المحتشدة التي هرعت لاستقباله في الهند وباكستان وماليزيا وإيران والمغرب وغيرها تخرج عن حب وطواعية لا عن سوق وحشد وإرهاب.

ويُحسب له أيضا اهتمامه بتدريس الإعلام بجامعة الأزهر، حتى يتم إعداد الإعلامي المسلم على هدى من تعاليم الكتاب والسنة، وذلك بتنسيق مع د. إبراهيم إمام عميد أساتذة الإعلام في مصر ود. إجلال خليفة أستاذة الإعلام بجامعة القاهرة (رحمهما الله).

وكثيرة هي مواقف الإمام المتصوف الهادئ الوقور والثائر في دعة دفاعاً عن الإسلام وضرورة أن يكون هو أساس وجوهر التشريع.

في ظل هذا النشاط الجم والرحلات المتتابعة لتفقد المسلمين شعر بآلام شديدة بعد عودته من الأراضي المقدسة فأجرى عملية جراحية لقي الله بعدها في صبيحة يوم الثلاثاء الموافق (١٧ أكتوبر ١٩٧٨م الموافق ١٥ ذو القعدة سنة ١٣٩٧هـ) تاركا ذكرى طيبة ونموذجا لما يجب أن يكون عليه شيخ الأزهر.